قريباً .. فعالية ثقافية احتفائية بالشاعر والأديب والمناضل الكبير راشد محمد ثابت

ينظم اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فرع صنعاء قريباً فعالية ثقافية احتفائية تكريمية بالشاعر والأديب والمناضل الكبير راشد محمد ثابت واشهار مؤلفاته الصادرة مؤخراً .. وسيشارك في هذه الفعالية نخبة من الأدباء والمثقفين والمناضلين بمداخلات حول المسيرة النضالية للمناضل والأديب الكبير.

وهي الفعالية التي كان من المقرر إقامتها اليوم ولكن تقرر تأجيلها حتى يتم الإعداد لها بما يليق بمكانة الاستاذ والمناضل الكبير .

الأستاذ والناقد الكبير عبدالله علوان عطاء يتجدد وأوجاع تحتاج إلى إغاثه عاجلة

محفوظ حزام

عبدالله علوان أستاذ الإنسانية ، والقراءة ، والنقد ، حين يسمعك فهو يبحث لك عن مخرج يخدمك به للأبد ، وحين يقرأ عمل إبداعي فهو يستخرج من النص، أو من العمل الفني عموماً قيماً فنية من حيث شكل العمل المنقود ، أو من حيث المضمون. يتميز بحس المتذوق الذي يضيف قيمة جديدة إلى العمل المنقود ، ومسألة التذوق متفاوته من شخص لأخر ؛لكن الأستاذ علوان اضافة إلى أنه متذوق بمفهومه السامي ، ومعبراً حاذق وصاحب رأي قوي .ويملك أدوات كبيره من أهم أدواته أنه يستطيع أن يفصل بين مزاجه الفكري ، والعاطفي بأسلوب لم أجده عند سواه ، ولذلك فلم أره لحظة يلجأ للقسوة في نقده ، أو طرحه ؛ لكنه ينقد بموضوعية ،وجدارة إلى درجة أن المُنتقد يعلم أنه المقصود؛ لكنه في ذات الوقت لا يشعر بأن الكلام موجه إليه ، وبعبارة أوضح لايتحسس على الإطلاق ،لأن علوان يتبنى طرحاً من نوع خاص لايتميز به أحد .

لدى هذا القامة إحتياطي معرفي كبير ، ومخزون إنساني لايقاوم ، ربما لأنه وصل إلى مرتبة الحكماء اللذين يدركون مايصنعون ، أو لأنه روح فريدة لرجل إستثنائي .إن خبرته المكتسبة،والمتراكمة يجعله رائد للفكر والتجديد وكيف لا وأنت حين تجالسه لاتلمس منه السطحية ولو لبُرهة ..

النقد بطبيعته عبارة عن وسائل ، وأدوات مساعدة إلى سبر أغوار أثر ، أو عمل ، أو نتيجة ، أو حصيلة أي عمل أدبي معين ..

؛لكن هذا الناقد أضاف أدوات أساسية ،ومهمة لم تكن في أدوات النقد.. ..روح الأستاذ إستثنائية ، ومشواره عميق ، وعصاميته في كل شيء أعطته الجدارة أن يكون قامة كبيرة يشار إليه بنبض القلب قبل رمش العين ، أو إصبع أحد الكفين ،

هذا الرجل يتخذ طريقته المُثلي والموضوعية ، والإنسانية في آن واحد أهميته الكبيرة تمثلت في أنه يحتل حيزاً كبيراً في المشهد الثقافي، ولم يملي عليه الزخم الإنساني ، والحضور الثقافي اللافت سوى داعي الواجب الإنساني والروحي

إن أستاذنا يُبدي حماسه ، وتعاطفه تجاه كُل مُبدع يستدعيه ولو بتأشيرة حدس ، وما أن تبدأ معه في أول طرح لا يتردد في أن يُسرج له كل دربٍ قد شاك عليك ليصبح بعد ذلك أمامك درباً هو الأسهل يأخذك بعلمه العميق ، وتواضعه الفريد إلى الإدراك من أبسط الطرق ما أكثر من وجدناه من يلوي لسانه عشراً في فاه قبل أن يلتفت إليك حيطة، ووسواس، أو يكون أسرع من لمح البصر؛ لكنه سرعان مايطعنك ؛لكن هذا الرجل الواعي المستنير لو فكر قليلاً فاعلم أنه لن يُعطيك إلا شهداً يُشفي وجعك ، أو يروي صمتك...

الأستاذ عبدالله علوان يبلور الحياة أمامك بوعي كبير ، وإنسانية عالية ، هذا الرجل يبهرني دائماً فما أكثر الأيام التي أجده بمقر الاتحاد ، ومن حلاوة طرحه ألغي برنامجي اليومي لأستمر في سماع حديثه الساحر .

ولما لا وفي الوقت الذي لم يجد الجيل الجديد متكأ يستند عليه حالفهم الحظ بهذا المنبر البصير واللذي يقوم بدور الفضلاء .إن محبة هذا الرجل بغلت من كثير من الأجيال ، ولاغرابة فهذا الرجل العصامي الأول الذي فتح قلبه لكل مُريد للعلم ، والنور ، كما هو كذلك بيته المفتوح لكل مُريديه ...

هذه القامة الكبيرة ..منذ نشأته وهو يدقق في الواقع ، وفي النصوص الإبداعية ، ويتبحر في العلل ، والملل ، والنحل ، والدراسات ، ومنذ أكثر من عقد من الزمن وهو يصارع تجاعيد أمراضه الجسديه..

ومن هنا نناشد الدولة خاصة الجهة المسؤلة سرعة الإلتفات إلى شخصه الكريم وإلى موروثه الثقافي الكبير من مقالات ،ودراسات ... وأعمال إبداعية مخطوطة .. وغيرها من الأعمال التي لايتسع المجال ذكرها هنا

إغاثة عاجلة

الأستاذ والناقد الكبير عبدالله علوان هو الآن ضـريـح آلامـه وآهـاتـه الروحية ،والجسدية في مستشفى الثورة . أما آن الأوان للقيادات العليا أن تلتمس منه الرضى على تقصيرها تجاهه؟!

أما آن الأوان للقيادات العليا أن تتبنى استرتيجية وطنية لتحتوي مبدعيها الأوائل والأواخر ..؟!أما آن الآوان أن تسعى للحدّ من مثل هذه الصرخات ..أأمل ذلك .

الشاعر طه الجند لـ"الثورة" :

الأديب ليس مسؤولاً عن تغيير العالم وليس مناضلاً سياسياً ليقود التغيير

لا مستقبل للشعر ولا للرواية .. وما أكتبه هو يوميات!

◄ حوار / محمد الجرادي

(من مراثٍ لزمن الجراد) إلى (رجل في الخارج يقول إنه أنا) ثم (أشياء لا تخصكم) ينتمي الشاعر طه الجند إلى أحلام وآلام الحشود الفقيرة والمسحوقة، وبالكتابة يؤمن فحسب، ولا يهمه في ذلك الشكل أو اللون.

ورغم مبادرته لي بقوله إن كل الأسئلة في الأساس وهمية والإجابات غبية فقد حرضني أكثر على أن يكون هذا الحديث:

حوار/محمد صالح الجرادي

* مراثٍ لزمن الجراد هي باكورة علاقتك مع الشعر والقصيدة، الآن، وبعد كل الزمن الفاصل عن تلك المراثي هل مازلنا في زمن الجراد؟

- لا لم نعد في زمن الجراد، نحن الآن في زمن العولمة ولكن على الطريقة الحقيرة التي تستوجب منا إيقافها وإعادة ترتيب العالم على أسس مختلفة .

* كيف..؟!

- لا بد من ضوابط أخلاقية لكبح جماح الأفراد القليلين الذين يكومون الأموال مستخدمين الأذرع الطويلة للتكنولوجيا لنهب العالم.

* هنا أسأل .. عما إذا كان لا بد من دور مفترض للأدب في هذه المهمة التي تعتقدها؟

- من الأسف، الأدب والأدباء في الواقع لا قيمة لها، وإن كان هناك ضمن هذا المشهد من يحاولون مواجهة قبح العالم إلا أنهم لا يمتلكون منابر للوصول إلى الناس، لقد جرى استبدال المثقف والأديب بالخبير الاستراتيجي وهي إعادة تقليعات لتغطية برامج الفضائيات ولتضليل المشاهدين.

* مقاطعا.. المثقف أو الأديب كلاهما مسؤولان عن الوصول إلى هكذا حالة من الاستبدال؟

- صحيح، والكثير منهم يتعيشون بطريقة رديئة ويظنون أنهم سيحصلون على حصة في نهاية النفق وهم في الحقيقة مجاميع بلا وعي وبلا رؤية عميقة إزاء ما يحدث ويجري، وإن كان هناك أفراد مدركون لما يدور لكنهم مهمشون ومقصيون ومتعبون.

* (طه الجند) أين يمكنه تصنيف وجوده في هذه الحال؟

- أنا من الحشود الفائضة التي لم تصحُ بعد وإن كنت أدرك اللعبة اللامعة لكني لست من الأغلبية الذين يحلمون وينتظرون الحصول على شيء، بصدق لم أعد أنتظر الحصول على شيء بقدر ما أحاول أن أكتب دفاعا عن نفسي.

* مقاطعا.. دفاعا عن النفس فقط؟

- ليس هناك بدائل، وليس لنا عمل، وبرغم أننا نكتب بكسل وقرف وندرك أن الكتابة صارت مهنة رديئة في هذا العالم وأنه لا صدى لها لكننا نكتب لندافع عن أنفسنا، وعن أن يدفعنا هذا الواقع إلى الجنون.

* لماذا لا نفترض أن تكون الكتابة فعل تغيير وتصويب؟

- الأديب ليس مسؤولا عن تغيير العالم برمته، وهو ليس مناضلا سياسيا ليقود التغيير، يجب أن نعترف أن الأدب والشعر كأحد أشكال الكتابة لا وجود لهما في المعادلة اليوم.

* مقاطعا.. هذه انهزامية وتراجع عن مبدأ الحضور العضوي للأديب أو المثقف في المجتمع؟

- هو يعيش في مشهد يائس، والمواجهة غير متكافئة، ومع ذلك فالمثقف - أي الأديب أو الشاعر - مضطر للصراخ بالكتابة في عالم يتحكم به اللصوص، وأفراد قليلون يحتكرون المال، فيما بقية الحشود يقضون أوقاتهم في الشاشات الفضائية أو متابعة إعلانات المساحيق والملابس الداخلية.. (يضحك).

* اسمح لي أن أسألك عن اتحاد الأدباء والكتاب، أين هو في هذه الظروف الوطنية الدقيقة والحرجة؟

- اتحاد الأدباء مغلق، نادي القصة مختطف مع بيت الشعر أيضاً، لا توجد مجلة ثقافية محترمة وموزعة، لا توجد دار نشر واحدة، لا يوجد مسرح أو سينما ، لا يوجد باب أو نافذة!!

* هذا نصف مفتوح؟

- اعتبره ما شئت.. ودعني أتابع:

نعرف أن الفضاء صار واسعاً.. وأن رواد محل نت في (الصافية) أكثر من رواد دار الكتب في بيت الثقافة.

* أعود لأسأل، لماذا لا يتحرك الأدباء لعقد مؤتمرهم العام. رغم انتهاء شرعية قيادته حتى الآن؟

- إذا ما حدث وتحركوا، فسيتحركون قبل انعقاد المؤتمر بأسبوع, ويتكتلون ويناضلون (....)!!، دفاعاً عن وحدوية الاتحاد، ويرفضون أية إصلاحات تمس هذه الخرابة الوطنية، مثلما حدث في المؤتمر العاشر، قدمنا ورقة إصلاحات جادة، وبعد خصام وتعب، صوت المندوبون على الورقة التي تتضمن أن تعقد دورة للوثائق بعد عام، وها قد مرت فترة الأربع سنوات والاتحاد مغلق في صنعاء وفي الفروع والمحافظات.

* لكن لا يعني كل هذا أنه ليس ثمة فرصة أمامكم كأدباء وأعضاء في الاتحاد، لاستعادة وتصويب مساره؟

- الاتحاد انتهى بشكله القديم كغيره من المؤسسات الشمولية، وإذا كان لا بد من عقد مؤتمر عام فأن يكون تحت لافتة إقرار الأقاليم الستة، وبما يعني الاستقلالية الكاملة إدارياً ومالياً في الفروع، وأمانة عامة خفيفة مهمتها تنسيقية، ثم إلغاء المجلس التنفيذي بحيث تتحول الفروع إلى نوادٍ وسط المدن للالتقاء والتنسيق.

* بالعودة إلى نتاجاتك الشعرية، نقرأ لك في الفترة الأخيرة نصوصاً ملتحمة بالهم السياسي واليومي لعام...؟

- مقاطعاً... لا نستطيع أن نقول عنها شعراً هي أقرب إلى اليوميات..

* لماذا تصر على وصف كثير مما تكتبه بأنه ليس من الشعر في شيء؟

- زمن الشعر انتهى، وكذلك زمن الرواية، الزمن الآن هو زمن الصورة، والروائيون اليوم كثر، لكن القليلين منهم هم الموهوبون والمتميزون، وهم في الواقع مهمشون ومقصيون ومغيبون.

* (لم نعد جمهوريين ولا ملكيين) هكذا تقول في إحدى قصائد مجموعتك (رجل في الخارج يقول أنه أنا).. أين نحن الآن اذا؟

- (يضحك).. صرنا مواطنين عالميين، دوليين- بالأصح- تحت البند السابع بعد أن كنا نعيش تحت البند السابع لنظام صالح وشركائه!!.

* يا عزيزي لقد تعرض اليمنيون للحصار والتنكيل لعقود طويلة، وليس هناك ما يخشون عليه.

ألا تتذكر (كم هو وحيد تسامح صالح في المكلا، كم هي وحيدة تأملات البيض في مسقط) في ذات المجموعة كنت تحاكي وحدة الوحدة ماذا أبقى تسامح صالح وأين ذهبت تأملات البيض؟

- في الحقيقة لم يكن صالح متسامحا، والبيض لم يكن متأملا، وكلاهما الآن تحت طائلة التهديد بحصار والعقوبات، لكن من المؤسف أننا نحن من سندفع ثمن الحصار والعقوبات، فالبيض يعيش في بيروت وصالح يحتمي بالخليج.

* هل مازلت خائفاً من رجل في الخارج يقول أنه أنت؟

- نعم لا يزال يطاردني.

عـلي الفهد

من منّا الغريب ..ومن أنا.؟!

كان الغريبُ يكحُ في العتبات كالغرباءْ
وكالغرباءِ ..يحرجُه صريرُ البنِّ في الفنجان
لكن لم يكن حقاً غريباً
غير أنّ الهمزَ وسمٌ ناجزٌ ليذوقَ غربتَه ونأنسُها معا .
كان الغريبُ أخاً وخيلاً
مثلنا.. يتكلمُ الفصحى
يبينُ ككلبِ خيمتِنا سريرةَ أهلِنا
والكلبُ يفرحُ بالغريبِ
لكي يبررَ عظمةً من صدرِ شاة
ولا يفكرُ بالقطيعِ...
ولا بما تركتْ ذئابُ البيدِ من قصيانهِ..
كان الغريبُ يجيدُ قولَ الرمل
يوجزُ ما تلتْهُ الريحُ في أيامنا
ليذيبَ غربتَهُ
ونألفُه قبيل رحيلِه
ويصيرُ يوماً ما حديثاً بيننا والنار ..
..صار الغريبُ أنا
وصارت جنّتي هذا العراءُ الفاضحُ المنسِيُ
لا كأسَ أنهلها وأسمع لسعها
لا ماء لا حجرا يردُ الماء
ولا سمراً يليقُ بليلِنا
من نحنُ..؟!
من منّا الغريب ..ومن أنا.؟!

فصل من سيرة لا تهمُّ أحداً

عبدالمجيد التركي

ربما هو نوع من الإحساس بالغربة والتواجد في المكان الذي لا نريده..

في مراهقتي كنت أتحدّث إلى نفسي بصوت مسموع، وحين أرد على نفسي أكاد أغيّر صوتي... كأنني أتحدّث إلى كائن آخر.. وحين بدأ صوتي يتغيّر، بفعل الانتقال الى المراهقة، أحسستُ بذلك الشخص الذي داخلي يطلُّ من صوتي..

كنتُ شقياً في طفولتي، وكأني كنتُ- بتلك الشقاوة- أحتجُ على وجودي في هذا الكوكب، ليقيني حينها أنني على الكوكب الخطأ، وأنني جئتُ في التوقيت الخطأ.. لم أكن متوائماً مع المكان والزمان.. كأني غريب ولا أعرف أحداً.. أو كأني لستُ سوى ضيف طارئ طال مكوثه فأصبح يستثقل نفسه حين رأى أن لا أحد يوليه أدنى اهتمام أو التفاتة، أو كأنه ملعقة ملح زائدة على مائدة الطعام، حسب تعبير الصديق أحمد السلامي.

وحين كنت أرى الأطباق الفضائية في مسلسلات الأطفال يراودني شعور أنني أتيت ذات يوم على مركبة فضائية ولم أعد إلى حيث كنت!

كان ينتابني هذا الإحساس من قبل مشاهدتي لهذه المسلسلات، وليس ناتجاً عنها أو تأثراً بها.. لكني لم أكن أدري كيف وصلتُ إلى هنا، وكنت أبحث عن تفسير لمجيئي إلى هذا الكوكب.

لم أكن أطمح أن أكون بطلاً أسطورياً، لكنني كنتُ أريد أن أكون الأفضل وأن أكون استثنائياً، في زمنٍ كلُّ ما فيه اعتيادي.

كلُّ أفراد أسرتي يشتغلون بالتجارة، وكلُّ أحاديثهم عن المال والربح والخسارة.. حاولوا أن يصنعوا مني تاجراً، وفتحوا لي محلاً تجارياً، فلم أقدر أن أسجن نفسي بين أربعة جدران مليئة بالبضائع وأكياس الدقيق والقمح، لأن القفص ليس مكاناً مناسباً لأجنحة العصافير وغنائها.

***

كنت أخاف من الذهاب الى صلاة الجمعة، بسبب الرعب الذي كان يبثّه خطيب المسجد، وهو يتحدث عن الأسياخ النارية ومنكر ونكير، ويتحدث أيضاً عن المطرقة الأسطورية التي تضرب الكذاب على رأسه في القبر، فينزل في الأرض سبعين متراً، ويصرخ صرخة لا تسمعها سوى الحيوانات، أو الدّواب حسب تعبيره.. ولأنني كنت كذاباً كان يرعبني هذا السيناريو المخيف، إلى حد أنني أضع يدي على رأسي حين أنام خوفاً من تلك المطرقة.

***

ها أنا أجرجر خلفي 37 عاماً من الهزائم والانكسارات.. وبعضَ ذكرياتٍ من الطفولة لا تصلح أن تكون ذكريات.. الدُمى حافلة بالذكريات أكثر مني..

ليس هناك شيء يستحق الالتفات إليه في حياتي طيلة 37 عاماً.. حياة اعتيادية، رغم أني أراها مرعبة بيني وبين نفسي، وما زلتُ مصراً على البقاء في مرحلة الطفولة.. ما زلت أحتفظ بدراجتي الصغيرة وجزء عمّ، وبعض الملابس التي لا أصدق أنها كانت تتسع لي.. ما زلت أحتفظ بروشتة كتبها لي الطبيب، وكم شعرت بالزهو حينها، لأن يد الطبيب كانت أول يد أراها تكتب اسمي.. شعرتُ أنني مهمٌّ جداً، وأن هناك من يقتطع من وقته 30 ثانية لكتابة اسمي.

حين شربتُ لأول مرة زجاجة كوكاكولا- كاملة- أحسستُ أنني رجل كبير، وأن بإمكاني أن أتصرّف كرجل راشد، وكأن زجاجة البيبسي هي المعيار لدخول عالم الكبار.. وحين تمكّنت من قيادة الدراجة لأول مرة كنت أوقن أنني قادر على تحريك الأرض بعجلة واحدة.

دخّنت أول سيجارة في طفولتي لأنني مللتُ من التصرف كولد صغير، ولأجرب معنى أن أكون رجلاً.. وإلى الآن لم أصل إلى هذا المعنى البعيد.. فطويتُ سنوات كثيرة من البراءة بتدخين سيجارة واحدة بداخل المسجد الذي لم يكن به سوى ولد شقي وسيجارة راشدة، وثالثهما الشيطان الذي ظننتُه العبد الصالح وهو يمدُّ لي بالولّاعة.

لم يكن الشيطان إلا أنا في سنّ متقدمة، ولم يكن ذلك الطفل- الذي لم يجد مكّاناً أكثر أماناً من المسجد ليدخّن فيه عشر سنوات من البراءة- سواي.

لم يكن لديّ ألعاب كثيرة، فقد كانت كلُّ ألعابنا مجانية.. نرسم في الشارع مربّعات بالفحم لنتقافز بداخلها، أو نصنع سيوفاً خشبية لنحارب الكفّار في الحارة المجاورة.. وكنتُ أنا الوحيد الذي أربط إحدى عينيّ بخرقة سوداء، فقد كانت تستهويني فكرة أن أصبح قرصاناً بعين واحدة وساق خشبية!!

الآن في السابعة والثلاثين وأشعر أنني كبيتٍ قديم يتداعى.. نوافذ كثيرة لم تعد تنفتح بداخلي، حتى باب بيتنا القديم الذي كنتُ أدفعه بيديّ الصغيرتين ما زلت أحمله، لكنه أصبح مغلقاً ولم يعد يحتمل الدخول والخروج، لأنه لم يعد قادراً على إصدار تلك الأصوات المرعبة التي كان جدي يُسكتها بقليل من السمن البلدي، وكأنه كان يضع نذوراً لهذا الباب المسكون بأصوات كان يفشل في تقليدها.

أصبحنا نبتهج بالتهاني بعيد الميلاد حتى وإن كان المقابل سنة كاملة ندفعها للحصول على تهنئة، فكيف نهنئ بعضنا بضياع سنة لنتقرب أكثر من الموت!!

الحياة ضربٌ من العبث، ولذلك كنت أحفر اسمي على الصخور، وكأنه تعويذة سيحميها من غوائل الكسّارات ومطارق البنّائين.. لكن الديناميت كان أقوى من اسمي المحفور، لذلك آمنت أن لكلِّ شيء نهاية.

***

سمحتُ للبعوض أن يقرصني كثيراً، لا لشيء إلا ليتوزّع دمي بين القبائل، ولأشعر بالتواجد في كل مكان حين يأخذ البعوض قطرة من دمي ويطير.. لم تكن لديّ البصيرة الكافية لأرى هل كان البعوض يتجشّأ بعد تلك القطرة أم أنه كان يبصقها لأن فصيلة دمي لا تناسبه!!

تمنّيتُ كثيراً أن أصبح شخصية كرتونية لأتزوّج بالليدي أوسكار، وأحمل سيفها لأرى إن كان سيلمع في يدي، ولألمس جاكيتها الأبيض، فقد كنتُ أحلم أن أمتلك مثله في يوم ما.. وفي الرابعة والثلاثين توقفت تماماً عن ارتداءِ أي جاكيت، فقد تصالحت مع الـ نص كُمّ، وأصبحت نصف يدي محروقة من الشمس، لذلك أحبُّ أن أتعامل معها على أنها يد شخص آخر ما دام لونها مختلفاً عن بقية جسدي.

فرحتُ بالدراجة الصغيرة أكثر من فرحتي بشراء سيارة هونداي بآلاف الدولارات.. لماذا كلّما كبرنا تصغر الفرحة.. كم من الحزن يلزمنا لنفقد فرحتنا بكل شيء!!

***

أكتب الآن وبداخلي رجلٌ ثمانينيٌ يدخّن سيجارة طويلة بأصابع مرتعشة وفم خاوٍ يتذكّر بداية معرفته بأسنانه اللّبنيّة.. كغريق يحاول أن يتذكر كلّ شيء، وهو يعلم أن الوقت المتبقي لديه ليس كافياً لأخذ نفس طويل، كي لا يموت وهو يلهث.. وليس كافياً لخلع ملابسه ليلقى الله متخفّفاً من كلّ شيء.

هذا الرجل الذي أحمله بداخلي يتوقّف لألحق به وأصبح من أترابه.. يريدني أن أتقمّص شخصيته وأسعل كثيراً مثله، وأخبّئ البلغَمَ في منديل قطني كبير، كمنديل حسن عابدين الذي كان يمسح به صلعته وهو على خشبة المسرح..

***

في بداية الأمر كانت تستهويني ساعة الجيب التي يتم تعليقها في الصدر، كنت أرى الارستقراطيين الطليان والإنجليز يخرجونها من جيوبهم- في الأفلام- والغليون في اليد الأخرى.. تمنيت كثيراً لو أنني أنتمي لتلك العصور، وأرتدي قبعة وبنطالاً عريضاً، وأمشي ببطن مترهّلة وشارب عريض أبيض لأجلس على أحد الكّراسي الطويلة التي تنتصب في الحانات أمام المشرب، لأطلب من النادل كأس مارتيني بالتفاح، ثم أضع على طاولته ورقة نقدية كبيرة تتسع لكرمي وأنصرف دون أن آخذ الباقي.

كانت أحلامي واسعة.. العيش بتلك الطريقة مريح ودون تكلفة.. والأفلام الأمريكية تضيف أفقاً أوسع للهرب من الآفاق الضيقة التي ندور في أفلاكها..

وحين تضيق أكثر، أبتسم لنفسي ابتسامة زائفة تشبه ابتسامة فتاة معجون الأسنان..

أحتاج أحياناً كثيرة لهذا الزيف، وأفرح به كما يفرح المتسوّل بورقة نقدية زائفة..

***

كثيراً ما حلمتُ أن أكون سائق شاحنة.. وكثيراً ما كنتُ أتخيّلُ أصحابَ الشاحنات الثّملين في الطريق ما بين فلوريدا والولاية المجاورة لها.. حين توقفه فتاة حسناء وتشير إليه بكُنزتها فيرفض أن يتوقف لها.. ثم يخرج لها يده من النافذة ويرفع لها أصبعه!!

يعتدلُ في جلسته ويصلحُ قبّعته ويمسح شاربه الأصفر من الخمر المنسكب عليه.. ثم يتحسّس خاصرته جيداً ليتأكد أن مسدسه- أبو عجلة- ما زال في مكانه..

يتوقّف عند محطة البنزين ليملأ شاحنته.. ثم ينزل إلى الحانة ليشرب كأساً من المارتيني بالتفاح.. يلتفت فيرى الحسناء ترفع له أصبعها من نافذة سيارة "جغوار"..

يخرج مسدسه من النافذة ويطلق طلقة واحدة ويتبعها بشتيمة كبيرة.. كم أغرته هذه الأصبع البيضاء التي رآها عن قرب.

هكذا هو سائق الشاحنة.. يبصقُ على المرآة ليمسحها، ثم يبتسم لنفسه في المرآة عند كلِّ منعطف.. ولا بدّ أن يكون حذاؤه إلى نصف ساقه.. ولا بد أن يربط عنقَه بوشاح بُنّي اللّون.. ولا بد أن تكون كلُّ احتياجاته مرميّة خلف المقعد بعشوائية.. ويكون هناك مسدس احتياطي في دُرج السيارة، إلى جانب صندوق الإسعافات الأولية.

وحين تتعطّل شاحنته سينزل ويركلُها بقدمه.. وربما أطلق عليها رصاصةً من مسدسه الذي لم يعد يستخدمه في لعبة الروليت.

يصلُ هذا السائقُ المتهوّر إلى منعطف خطير.. وهو يعبُّ قارورته التي يدخلها إلى نصفها في فمه.. يقطعُ عليه الطريق كنغرٌ صغير.. يدهسه بالعجلات الخلفية ويخرج رأسه من النافذة ليبصق عليه ويشتُم أمّه التي تقف على حافة الطريق وهي تصرخ.. ويستمرُ في شتم الكنغر إلى سابع جد.

أبحثُ عن نهاية لمشوار هذا السائق، فأخترعُ طاحونةً تلوّحُ له من بعيد.. وهو يفرك عينيه كما لو أنه استيقظَ من نومه..

تحت تلك الطاحونة كان يدفن السجائر التي كان يدخنها خفيةً عن أمّه الراهبة، التي فشلت في جعله يحبّ الكنيسة ليصبح قسّاً كبيراً...

لكنه كان يرى أن الحانة تتّسعُ له أكثر من الكنيسة التي كانت تحاصره بتعليماتها المزعجة.

***

تمنيتُ أن أصبح كائناً كرتونياً مثل "كعكي".. هذا الوغد كان يتعبني جداً، وأنا أنتظر إطلالته في مسلسل "افتح يا سمسم"..

استمتاعه بأكل البسكويت، الذي كان يذهب معظمه في الهواء وهو يقضمه.. كان يجعلني أتساءل: ما هي نوعية البسكويت الذي يأكله كعكي، ومن أين يحصل على ثمن كلّ هذا البسكويت.. فأحسده كثيراً لأنه كائنٌ بسكَويتي، وأتغاضى عن صوته البشع..

كنتُ أحبُّ بسكويت فارليز، وأيضاً كنت أحبُّ سيريلاك.. إلى أن شارفت على سن المراهقة التي لم أكن أشعر فيها بأي إرهاق على الإطلاق..

في مطار دبي رأيت بسكويت فارليز.. أخذت علبةً، وأثناء دفع ثمنها للرجل الهندي الذي لن يعرف ماذا يعني فارليز.. ربما أن طعم الفارليز باللغة الهندية سيحتاج إلى ترجمة لكل حبة سُكّر.. لم أكن أبالي بنظرات الهندي وهو يتفحّصني باحثاً عن ولد صغير في يدي.. وكأنه بالضرورة أن يكون الفارليز للأطفال فقط؟

كدت أسأله عن الـ سينالكو الأصفر.. لم نكن نسمّيه برتقال، كنا نسميه أصفر، حسب لونه فقط، وليس حسب طعمه.. وأسأله عن لُبان "فلونة".. وعن ويفر تي شوب، وعن بسكويت جلوكوز.. وبسكويت الأفراح.. وأيضاً عن الـ شونجم أبو أربع حبات.. لم نكن نضطر أن نسميه شونجم أصلي، لأنه لم يكن هناك تقليد.. كان لكلّ شيء نكهة جميلة.. حتى مسّاحات الأقلام الرصاص كان لها رائحة مغرية.. وكنا نستنشقها بقوة كما يفعل المدمنون اليوم حين يشمُون الشّلك والتينار.. والبعض كان يأكل هذه المسّاحات حين يعجز عن مقاومة رائحتها.

حلمت كثيراً أن أصبح شخصية كرتونية وأعيش بداخل مسلسل للأطفال.. حاولتُ إنقاذ سالي كثيراً.. وبحثتُ مع ببيرو عن أبيه الذي اختفى خلف جبال الألدرادو وهو يبحث عن الذهب.. وفي اليوم التالي أفتح التلفزيون وأتوقع أن أجد ببيرو ممتناً لأني أساعده في العثور على والده..